

التفسير المختصر - سورة النور (٢٤) - الدرس (١٠-٠٥) : تفسير الآية ٣٢ ، وأنكحوا الأيمي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فض
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٥-٠٦-١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علمنا ما ينفعنا وأنفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الأخوة الكرام، فالآية الثانية والثلاثون والتي بعدها من سورة النور وهي قوله تعالى :
﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢)﴾

[سورة النور]

أولاً، فعل الأمر يقتضي الوجوب في القرآن الكريم، ويشبهه الفعل المضارع المقترن بلام الأمر كقوله تعالى:

﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾

[سورة الطلاق]

هذه لام الأمر، وإن كان الفعل مضارعاً ولكن معناه الأمر، فكل أمر في كتاب الله يقتضي الوجوب، ولكن علماء الأصول قالوا: هناك أمر وجوب وهناك أمر ندب وهناك أمر إباحة وهناك أمر تهديد، أمر التهديد كقوله تعالى:

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾

[سورة الكهف]

فهل من المعقول أن الله عز وجل يأمرنا بالكفر؟! هو يهددنا إذا كفرنا، والمعنى ؛ إِفْعَلْ وانظر ماذا سيكون، فهذا أمر تهديد وهناك أمر إباحة قال تعالى:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾

[سورة البقرة]

فإذا الواحد استيقظ وما أكل هل يؤثم؟ لا، لأنه أمر إباحة، وأمر الندب هذا الأمر، وأمر الوجوب قال تعالى:

﴿فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

[سورة المجادلة]

قال تعالى:

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾

[سورة النور]

أي زوجوا، وهذه الواو للجماعة، فالأمر مَوْجَّهٌ لمجموع الأمة، و أيّ أمر مَوْجَّهٌ لمجموع الأمة هو مَوْجَّهٌ حكماً إلى أولي الأمر و إلى أولياء الأمور، فأَيُّ إنسانٍ تَوَلَّى أمراً من أكبرِ واجباته تزويج الشباب و الشابات لأنه فيما يبدو لنا تزويج الشباب هي تلبيةٌ لحاجةٍ أودعها الله فيه، أما على مستوى الأمانة فهو بناء أمةٍ، و الأمةُ إمّا إنها تتقدّم و ترقى عن طريق وُحْدَاتٍ أُسْرِيَّةٍ و إمّا أنها تنهارُ و تنهوى عن طريق الزنا، فنحن و إن لبَّينا رغبةً شاب في الزواج لكن في الحقيقة نبني أمةً، و أهدافُ الزواج بعيدةٌ جدًّا، نُنظِرُ إلى شاب أخذ هندسةً و كلُّ الطرق أمامه مسدودةٌ و وازعهُ الديني ضعيفٌ زَلَّتْ قدمُهُ في الزنا فانتهى نهائياً، أمّا إذا كان تعاونٌ و زوجناه فصارت له زوجةٌ و أنفق عليها و صار عمله متقناً، و صار له دخلٌ و أتى إلى البيت بالطعام و الشراب و اللباس أسعدَ زوجته و سعد هو و أنجب الأولاد، فبناء الأمة يبدأ من إنشاء الأسر، فلذلك الآن أعظم عمل هو تزويج الشباب، كنتُ قبل يومين أو ثلاثة أقرأ كتاباً لفت نظري دعوة زواج بُعِثَ لابني، و بطاقة الدعوة معها إيصالٌ مبلغ من المال مكتوبٌ اسمي عليه: هذا عوض أن نبعث لك هديةً دفعنا لبناء ثانوية شرعية بدوما هذا الإيصال وكتبوا أنه إذا ترغب دفع أكثر، على مدخل مكان الدعوة فيه لجان مع الإيصال و دفعنا و الحمد لله، دخلنا للعرس و انتهت الحفلة، جمعوا التبرُّعات أحدهم قال: عليّ نصف مليون لتزويج الشباب و الثاني مائة ألف، قلتُ: هذا عقد قران مبارك بدأ بإيصالٍ و دفع استثنائي و جمع مليوني ليرة، فإذا كان عقلاء الأمة ما فكروا في تزويج الشباب فسيجلُّ السفاح محلّ النكاح، فإذا ما انتبهنا و عاوناً، قريةً من قرى غوطة دمشق أنا أكبرها كثيراً اجتمع عقلاؤها و قالوا: أعلى مهر هو خاتم وساعة فقط، سيّدنا شعيبٌ قال:

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَةَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾

[سورة القصص]

هذا توجيه لنا، فنحن الآن أيها الأخوة كما ترون الفتن في الطريق مشتعلة، الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها " ونحن في عصر الفساد والنساء الكاسيات العاريات، فلا عمل أجل من أن تؤمن لشاب بيتاً، وإذا كان الواحد ميسور المال، وكان عنده بنات، وأمن لكل بنت بيتاً صغيراً بمائة متر فقد تجد البنت شاباً بأعلى مستوى ولا بيت له، فهذا عملٌ عظيم وأنا لا أرى من عملٍ أعظم عند الله من تحصين الشباب والشابات بالزواج الشرعي، قلت لأحدهم: ألا تستطيع أن تؤمن بنايةً تبنيها بأرخص المستلزمات، وتزوج فيها الشباب، فانه تعالى قال:

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾

[سورة النور]

فلما يجد الشاب غرفةً ومنافعها يستطيع أن يتزوج، فهذا أعظم عمل فالذي عنده شباب وبنات، فلا بد أن يكون عمله الأول تزويج الشباب والفتيات، لأن هناك فكرة تقول: أنا كنت عصامياً، ولا

بَدَّ أَنْ أَجْعَلَ ابْنِي عَصَامِيًّا !! والله أعرف أناسًا باعوا بُيُوتَهُمْ واشْتَرَوْا أربعة بيوت خارج الشام، لكي يُزَوِّجُوا أبناءَهُمْ ؛ أنا هذا أعدُّهُ بطلاً، لأنَّ الشاب إذا زنى وكان الأب مَيَسُورًا لَعُوتِبَ الأب، ويوم القيامة يقول: يا رب، لا أدخل النار حتى يدخل أبي !! أعرف رجلاً عنده اثني عشرة بِنَايَةً، وابنه يتمنى بيتاً يسكنه لكي يتزوج ! مُدَّعِيًّا أَنْ يَسُوكَ الابن ما سَلَكَه الأب !!! بيت متواضع وأثاث متواضع،

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا خَظَبَ الْيَكْمَ مَنْ تَرَضَّوْنَ دِينَهُ وَخَلَقَهُ فَرُوجُهُ إِنَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادًا

عَرِيضًا))

[رواه الترمذي]

والآية أكبر دليل، أولاً الأمر مُوجَّهٌ لأولي الأمر فكل مسؤول بالوزارة عليه أن يحفظ النِّفقات المتعلِّقة بالزَّواج، وتيسير البيوت، وأنا أعرف واحدٍ بِدَارِيًّا عمَّرَ عمارات كبيرة ورفض بيعها ولكن تأجيرها للشباب المسلم، فنحن نريد بناء مُجْتَمَعٍ عن طريق تسهيل الزَّواج، وهذا أعظم عمل.

فالآية الأولى:

﴿وَأَنْكَحُوا النَّيَامِي مِّنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ

وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢)﴾

[سورة النور]

الفقر ليس عيباً ولكن وسام شرف للإنسان المُستقيم، وبالجامع الصغير اثني عشرة حديثاً تبدأ بِحَقِّ الأب على ابنه، وحق الجار على جاره ولكن حديثاً واحداً إذا قرأته يَقشَعِرُ جلدك ؛ حق المسلم على الله أن يُعِينَهُ إذا طلب العفاف، وما شكى أحدٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم ضيق ذات يده إلا قال له: **إِذْهَبْ فَتَزَوَّجْ**، وقال عليه الصلاة والسلام:

((مَنْ تَرَكَ الزَّوْجَ خَيْفَةَ الْعَيْلَةِ فَلَيْسَ مِنَّا))

الله تعالى هو الذي يُغْنِيهِ، واحذر أن تقول: ليس معه ! فهذا رجلٌ غنيٌّ تقدَّم لِخِطْبَةِ ابنه رجل مهندس فقال الأب: هذا معاشه لا يكفي يَوْمِينَ !! وبقدرة القادر جل وعلا، أفلس هذا الغني وتوسَّل لأحد الناس كي يتقدَّم ذاك المهندس لِخِطْبَةِ ابنه، وأغنى الله ذاك المهندس وأصبح العم يشتغل عند زوج ابنته !! والأمر الإلهي:

﴿وَأَنْكَحُوا النَّيَامِي مِّنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ

وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢)﴾

[سورة النور]

ولو رأيت كيف أغنى الله أناساً كانوا فقراء تدهش فانه تعالى إذا أعطى أدهش، وإذا حاسب فنتش، وأذكرُ أنني زرتُ واحداً في محلّه بدويلعة فإذا به يأكل علبه سردين من دون صحن، ونائم على طاولة التفصيل، وقال لي: عندي بيت ألف متر مساحته، وحدائق وثلاثة سيارات، فانه إذا

أعطى أدهش، فهذا أحد الأخوة تبرّع لجمعيّة خيريّة بسِتّة ملايين بيوت فأقام له أهل الجمعيّة حفلاً تكريمياً، وأثنى عليه الجلوس، أما أحدهم فكان نبيهاً وقال: نحن عندنا سبعمائة أسرة مُنتفحة بهذه الجمعيّة، وكان من الممكن أن يكون المُحسن هذا أحد المُنتفعين ولكن شاء الله أن يُعطي ولا يأخذ، فكما أن الله تعالى أعطاك يُمكن أن يتركك تأخذ، فالذي أعطاه الله وأنفق لا بدّ أن يذوب خجلاً منه تعالى وهذا من فضل الله عليك.

إحدى الأسر كانت تأكل فجاء أحد الطرقات للباب، فهتّت الزوجة أن تُعطيَهُ بعض الدجاج فعنفها وقال لها: أطرديه ! بعد حين ساءت العلاقات فطلّقها، وتزوّجت مع إنسانٍ آخر، وفي أحد الأيام كانت جالسةً معه وهي تأكل الدجاج فطرق الطارق الباب: فإذا بها تضطرب ! فقال لها: لم اضطربت ؟ فقالت: إنّه زوجي الأوّل ! فقال لها: أو تدرين من أنا ؟ أنا السائل الأوّل !!! فالله تعالى كبير، وقد يُفكرك بثانية، وقد يُغنيك بثانية، فالإنسان يكون بحبوحة إذا كان في طاعة الله عز وجل.

المُلخص قوله تعالى:

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾

[سورة النور]

حاول أن تُساهم أن تزوّج شاباً ولو بمائة ليرة، ولو بقليل من الأثاث، ولو ببرّاد، كي يلغى السيفاح ويحلّ محلّه النكاح.

والحمد لله رب العالمين